Figurative Functions in Poetry of Ghazi Al-Gosaibi

Asst. lect. Shaimaa Othman Mohammad
Basra and Arab Gulf Studies Center
The University of Basrah

Abstract:

Figurative functions which are presented by methods of (Simile, metaphor, Metonymy) consider basic substrate of the pillars of the poem. Poetry is based on imagination. The imagination is based on the image which shines in the reader's spaces to live aside some aspects of the life of the poet to share some poet's feelings and emotions that the poet has experienced in detail.

The function of simile is the most prominent figurative functions which is attendance in poetry and the most beautiful and influential because of its super capacity to shorthand and concise through its three corners

(Likened and likeness and point of resemblance).

We find many hidden worlds which cannot be hidden only by the glorious poet. And those worlds are only good to extract by smart reader's ability through feeling the beauty in them. The more the poet is brilliant in his similarities, the more his poetry is fresher, closer and more influential in the receiver.

الوظائف البيانية في شعر غازي القصيبي

م.م : شيماء عثمان محمد
مركز دراسات البصرة والخليج العربي/جامعة البصرة

المستخلص:

تعد الوظائف البيانية المتمثلة بأساليب (التشبيه، والاستعارة، والكناية) ركيزة أساسية من ركائز بناء القصيدة، فالشعر قائم على الخيال، والخيال قائم على الصورة التي يحلق في سمائها القارئ؛ ليعيش جانباً من جوانب حياة الشاعر، ويشاركه الأحاسيس والمشاعر التي مرّ بها بكل تفاصيلها الدقيقة.

والوظيفة التشبيهيه من أبرز الوظائف البيانية حضوراً في الشعر وأكثرها جمالاً وتاثيراً؛ لما لها من قدرة فائقة على الاختزال والإيجاز، فمن خلال أركانه الثلاثة (المشبه والمشبه به ووجه الشبه) نجد الكثير من العوالم المختبأة التي لا يجيد تخبأتها سوى الشاعر المجيد، ولا يجيد استخراجها سوى القارئ الحاذق المتمكن، من خلال استشعاره للجمال الموجود فيها. وكلما كان الشاعر بارعاً في تشبيهاته، وبارعاً في توظيفه لأسلوب التشبيه كلما كان شعره أعذب وأقرب وأكثر تأثيراً في المتلقي.

الوظائف البيانية في شعر غازي القصيبي

الوظائف البيانية فرع من الوظائف البلاغية التي يوظفها الباث لتجسيد مشاعره وأحاسيسه، وللتعبير عما يدور في ذهنه من أفكار وما يتأصل في خلجات نفسه من ايديولوجيات مستوحاة مما يدور في محيطه ، إذ يبين موقفه تجاهها .

ترسم الوظائف البيانية بأساليبها الثلاثة (التشبيه ، الاستعارة ، الكناية) صوراً يمكن عدّها حلقة وصل تربط بين ذهن الباث وذهن المتلقي ، لتعيشهما في أجواء واحدة يتبادلان فيها الآراء ووجهات النظر فيقنع الباث المتلقي ويؤثر فيه ، اذ يتمكن من إفراحه وإحزانه وتغيير أفكاره ويولد في ذهنه أفكاراً تمكنه من أن يرسم لنفسه نمط حياة ، أو أن يعرف من خلالها شخصيته وتثيره وتعرفه بنفسة من خلال تنبيهه على ما قد يكون غائباً عن ذهنه ولا سيّما وإن كانت تلك الصور مرسومة بريشة فنان مبدع متمكن من أدواته . فلا يغادر المبدع محدثه إلا بعد أن يبلغ مراده من إيصال فكرته . فعلم البيان هو علم الصورة الكلامية المؤثرة.[١] إن الوظيفة البيانية((تعمل على إيراد المعنى الواحد بصور مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقته الكلام لمقتضى المراد)) .[٢] إن وضوح المعنى وتقويته في النفس وتقريبه من الإدراك والحس ، وتأثيره في خوالج النفس والعقل معاً هو هدف هذا الباب ووظيفته.[٣]

إن البحث في أساليب البيان لايحدد في دراسة تلك الصورة التي ترسم من خلالها لأنها ليست المقصودة ، إنما يحدد في معرفة وظيفتها التي أدتها لخدمة المعنى ، وقد أشار الجرجاني إلى ذلك قائلاً ((لقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح وإن للاستعارة مزية وفضلاً وإن المجاز ابداً أبلغ من الحقيقة إلا أن ذلك كان معلوماً على الجملة فإنه لا تطمئن نفس القائل في كل ما يطلب العلم به حتى يبلغ فيه غايته وحتى يعلق الفكر إلى زواياه وحتى لا يبقي عليه موضع شبهه ومكان مسألة ... فأنما تسكن انفسنا إذا عرفنا السبب في ذلك والعلة ولم كان ذلك وهيأنا له عبارة تفهم عندما نريد إفهامه.))[٤]

يدرس البحث هذه الأسباب ، أي أسباب ورود الأساليب البيانية في المجموعة الشعرية للشاعر غازي القصيبي وما وظفت له وما افادته من معانٍ وظيفية ساهمت في نقل افكاره .

غازي القصيبي شاعر سعودي ولد في الأحساء عام (١٩٤٠) حصل على شهادة دكتوراه في العلاقات الدولية عمل في مجال التعليم ووزيرا للصناعات ثم للصحة .[٥]

وظف القصيبي في مجموعته الشعرية الكاملة،أساليب البيان كافة توظيفاً نسبياً،إذ أن قارىء مجموعته يلحظ غلبة توظيف أسلوب التشبيه بصوره المختلفة وبنسبية وخصوصية متميزة.إلا أنه في الوقت ذاته لم يهمل توظيف أسلوبي الاستعارة والكناية،لا بل يعمل إلى توظيف أكثر من اسلوب للتعبير عن المعنى الواحد في القصيدة الواحدة. من ذلك مزاوجته بين أسلوبي الاستعارة والتشبيه وتوظيفهما للتعبير عن الحب والشوق والحنين إذ يقول:(حنين/ ٤٧٣)

تريدين لون حنيني اليك ؟
اذاً طالعي الشمس عند المغيب

تريدين طعم حنيني اليك ؟
اذاً لامسي بيدك اللهيب

.....

فوا عجباً اتشكي الفراق
وأنت كقلبي جارٌ قريب

وكذلك زاوج بين أسلوبي التشبيه والكناية فوظفهما للتعبير عن شوقه وحنينه لحبيبته قال: (رباعيات عاشقة / ٢٩٥)

شوقي إليك كأنه

.....

.....

شوق الجنين إلى الحياة

وراء دهليز الضباب

فقوله (شوق الجنين إلى الحياة) تشبيه على سبيل نسق التشبيه البليغ ، أما قوله (دهليز الضباب) فهو كناية عن الرحم (رحم المرأة الحاملة للجنين) .

من أوجه استعاراته، ما وظف للتعبير عن شوقه وحنينه، ذلك باستعارته لمجموعة من الأفعال ليرسم من خلالها صورة دقيقة التفاصيل تبين حاله عندما يفارق حبيبته وكيف هو شوقه إليها. فيصف نفسه بالشيء المقسم إلى أجزاء صغيرة مبعثرة تذروها الرياح وتعثو فيها صعودا ونزولاً بين أماكن مختلفة ليستقر به الأمر بأن تزرعه في السحاب. إن الزرع في السحاب الثقيل تعبير غريب اراد الشاعر من خلاله القول : بأن هذه السحابة الثقيلة لا بد من أن يأتي عليها يوماً لتمطر وتنزل ما هي مثقلة به من زرع فتنثره من جديد على الأرض لتعيده للحياة . فما ختام هذه القطعة الشعرية إلا أمل بلقاء الحبيبة من جديد وإنه امل محقق لا محاله . إلا أن لقاء حبيبته الذي يعيد الحياة لروحه سيبقى مهدداً بالفراق من جديد . فنراه بعد ان التقى حبيبته ووصف لها حاله عاود استعارة فعل جديد ليوحي بالفراق وتجدده فيقول(حين تغيبين / ٥٧٥ – ٥٧٦)

يبعثرني الشوق حين تغيبين
فوق الجبال وتحت البحار
ويرسلني في هبوب الرياح
وفي عاصفات الغبار
ويزرعني في السحاب الثقال
وراء المدار
.....
وأرجع عند انسدال المساء

وظف استعارة اخرى للتعبير عن شحذ الهمم ودعوة الكتّاب لتوجيه كتاباتهم وقصائدهم لخدمة المجتمع والقومية العربية ، من ذلك استعارته للفظة (فوهة) المعتاد سماعها قبل لفظة

(البندقية) ليذكرها قبل (القصيدة) فجعل للقصيدة فوهة عندما اراد منها أن تقاتل الطغاة المستعمرين ، عندما اراد منها أن تكون أداة للدفاع عن المجتمع ، عندما أراد من الشعراء ان يكثروا من قصائدهم المدافعة عن قضاياهم لتترامى كلماتهم كطلق الرصاص . فإما أن يقتل عدوه متخلصاً من ذله وطغيانه وجبروته ، وإما أن يرجع على صاحبه ليقتله مخلصاً إياه من ذل الحياة فيموت مقدماً حياته قرباناً في سبيل الحق .

قال : (السكوت / ٥٢١)

ميتة حروفنا مثل ضمائر الطغاة

.....

نحلم أن عالماً بلا قيود ينبت من اقلامنا المشلولة

نحلم أن موسماً من الورود

يزهر في صدورنا المشلولة

نحلم بالمعجزة الجديدة

نابعة من فوهة القصيدة

وبذلك أدت الاستعارة وظيفتها وساهمت بإظهار الخفي الذي ليس بجلي .[٦] وشرح المعنى وتأكيده ، والمبالغة فيه بإيجاز. [٧] وتعرضها في صور جزئية ملموسة يكون لها الأثر البليغ والوقع اللطيف .

أما الأسلوب البياني الكنائي فقد كان له نصيب من التوظيف ايضاً.فقد وظف للتعبير عن قضايا مختلفة متنوعة.يعمد الباث عادة إلى الأسلوب الكنائي عندما يريد إخفاء ذكر اللفظ الحقيقي الموضوع للتعبير عن المعنى الذي يريد إيصاله إلى المتلقي لغرض بلاغي في نفسه، كأن يريد التأثير في نفس المتلقي تاثيراً ايجابياً بالنسبة لحديثه،أو توضيح المعنى بأيجاز دون خلل.فما هذا الأسلوب إلا((تغليف المعنى المقصود بستار شفاف ليكشف عن الذهن الواعي بفضل التأمل لسرٍ من الأسرار النفسية التي ينبغي توضيحها عند الكشف عن جماله.))[٨]

وظف القصيبي الأسلوب الكنائي للتعبير عن قضيته الأساس في مجموعته الشعرية وهي قضية حبه ووصف حبيبته . قال : (طريد / ٧٩)

التقينا أمس في الجمع الكبير
واستقرت عيني الولهى على الصبح الجميل
تستقي من فجر عينيك الظلال

فكنى بذكره (الصبح الجميل) و (فجر عينيك) عن التصريح بالقول بأن حبيبته مشرقة جميلة صافية البياض كبياض الصبح وجماله .

كما وظف الأسلوب الكنائي لمعالجة قضية قومية عربية ، محاولة منه للتأثير في نفس المتلقي تأثيراً علّه يكون إيجابياً . قال : (فارس القدس / ٥٠٩)

فارس القدس أقفر الميدان
وهوى البيد .... واستراح الحصان
سقط السيف من يدٍ رفعته
نصف قرنٍ ... واستسلم العنفوان
وانحنت أمه عليك بقلب
ملأ الوجد نبضه والحنان

(أقفر الميدان) (استراح الحصان) كل هذه الجمل كنايات عن التقاعس والتخاذل والتهاون في أداء الواجب القومي .

الوظيفة التشبيهيه في مجموعة القصيبي

وظف القصيبي اسلوب التشبيه بصورة أوسع من أسلوب الاستعارة والكناية ، لأن التشبيه هو أبرز أنواع التصوير اطراداً في كلام البشر.[٨] وإذا كان الهدف من علم البيان التأثير في النفوس فالتشبيه يوسع المعارف من حيث هو يسهل على الذاكرة عملها فيفنيها على اختزان جميع الخصائص المتعلقة بكل شيء على حده بما يقوم عليه من اختيار الوجوه الدالة التي تستطيع بفضل القليل منها استحضار الكثير .[٩]

لتشبيهات القصيبي مزايا عدة فقد تفنن وأبدع باسلوب التشبيه ، ومن الملاحظ على تشبيهاته :

أولاً : استعمال أسلوب التشبيه المنفي أي نفي تشبيه الشيء بشيء آخر. من ذلك نفي تشبيه نفسه بالشعراء الآخرين بأنه لا بد من رحيله لأنه لا يسمح لنفسه البقاء إلى ان يحوله الدهر شيخاً نحيلاً ضعيفاً يئن ويشكو إلى ان يمل الحياة .

قال متحدثاً عن نفسه : (هناك / ٦٤٣)

ما كان كالآخرين
فكيف يعيش إلى ان يحوله الدهر
شيخاً نحيلاً ضعيفاً يئن ويشكو
إلى ان يمل

ومن ذلك نفيه بأن حبه لحبيبته ليس كحب سواها، قال محدثاً صاحباً له:(بعد الفراق/٤٥٣)

قل حبيبي ما شئت عنها ... ولكن
لا تقل حبها كحب سواها

ثانياً : ذكر تشبيهات عديده للتعبير عن حاله واحدة للتقريب، ومن ذلك تعبيره عن الم فراقه وعدم احتماله له ، وإن الحياة بعد فراق حبيبته وبلا حب لا تعني شيأً لديه . شبه ذلك بتشبيهات عديدة . قال: (قفي / ٦٢٥)

قفي فالكون لولا الحب قبر
وغن لم يسمعو صوت النواح
قفي فالحسن لولا الحب قبح
وإن نظموا القصائد في الملاح
قفي فالمجد لولا الحب وهم
وإن سارو إليه على الرماح

فنلحظ انه وظف ثلاث صورٍ تشبيهيه؛ للتعبير عن الصورة نفسها، وهي صورة الحياة بلا حب وبلا حبيبة فالكون مثل القبر والحسن مثل القبح والمجد مثل الوهم . بتشبيه بليغ ، بحذف الأداة ووجه الشبه

ومن ذلك، تصويره لسلامه الذي يهديه إلى صديقه الذي وافاه الأجل وتوفى (أبا بندر) . قال : (سلاماً يا أبا بندر / ٧٩٣)

سلاما يا أبا بندر
كعرف الشيح .... والقيصوم ... والعرر
كعرف الليل في نجدٍ
كما يتنفس العنبر ..

فالمشبه السلام والتحية والمشبهات بهن متعددة (عرف الشيح ، القيصوم ، العرعر ، عطر الليل ، تنفس العنبر) .

ومنه تشبيه حبه وحنينه بقوله / (رباعيات عاشقة / ٢٩٥)

شوقي اليك ..... كأنه
شوق السؤال إلى الجواب
شوق الحقيقة ان تمزق
شمسها ليل السحاب
شوق الحنين إلى الحياة
وراء دهليز الضباب

إن الجمع بين اللوحات المتعددة المتنوعة يوّلد إشراطة طويلة تحوج القارىء إلى النظر والتأمل في حقيقة تعايش الصور المختلفة، ومدى تأثير بعضها في البعض الآخر، ودورها مجتمعة في خلق الجو الشعري . [١٠]

ثالثاً : تشعب وجه الشبه لتوضيح الصور أكثر . من ذلك قوله : (مثل صحرائي / ٤٦٤)

أنا مثل صحرائي

دنيا بلا ماء

قفر بلا حلم ... بلا ظل

أنا رحلة في عالم المحل

فالمشبه واحد (الشاعر نفسه) والمشبه به (الصحراء) ووجه الشبه متعدد فهو يشبه نفسه بالصحراة كونها دنيا بلا ماء وقفر بلا حلم ولا ظل. ويتميز هذا النوع من التشبيه (تشبيه التمثيل) بشيء من العمق .

رابعاً : المزاوجة بين التشبيه والأساليب البيانية الأخرى . وقد ذكر الحديث عنه في موضع سابقاً من البحث .

خامساً : كثرة التشبيه بالطفل .

فكثيراً ما كان القصيبي يذكر تشبيهات يشبه فيها نفسه بالطفل ، لا توحي صورة الطفل إلى شيء أكثر مما توحي للبراءة ، فالطفل يعد رمزاً لها وللحياة الصافية النقية ولعل هذا ما قصده القصيبي في تشبيهاته بالطفل ، من ذلك قوله واصفاً حاله وحبيبته وهما يتمازحان على روضة خضراء اكتشفا عليها أنهما عاشقان ، بالطفلين الذين يلعبان :

(/)

الروضة التي اكتشفنا فوق دفء عشبها

في لحظة عذراء أنا عاشقان

الروضة التي انطلقنا عبرها

كإنّنا طفلان يلعبان

ننقش في الجذوع سهماً

نام فيه خافقان

رأيتها بلا زهور

ومن ذلك قوله : (العودة إلى الواحة / ٥١٧)

أعود إليك

وفي قدمي سياط هجير
وفي شفتي ظلال السعير
واغفو كطفل صغير
على ساعديك

ومنه قوله (حزيران الاثيم / ٥٤١)
ونغني يا حزيران الأثيم
لمرور النصل ، جذلان ، على الجرح القديم
ولشعب فلسطين يجوب التيه كالطفل اليتيم

سادساً : ورود تشبيهات غامضة .

كذلك التشبيه الذي وظفه في قصيدة (الأخطبوط) إذ أن المشبه والأداة محذوفان والمشبه به مذكور وهو الأخطبوط ، ولم يترك القصيبي قرينة لفظية أو معنوية توحي بالمشبه به أهو (الحب ، أو القدر ، أو الفقر .....)؟

قال : (الأخطبوط / ٤٩٠)
يدٌ لفت على عنقي
وثانية على ساقي
وثالثة ...
ورابعة ....
أحس الأذرع السوداء ...
تشرب من شراييني
فأين يدي ؟
وأين اضعت سكيني ؟
وكانت لي على الساحل
الآف من الأيدي

والآف السكاكين
قطعت أنا يدا بيد
وثالثة
ورابعة
وها أنذا
أمام الأذرع السوداء
بدون يدي
أحس الأذرع السوداء تخنقني
وأبصر عينه الشوهاء ترمقني
وأبصر في شراهتها
مصيري حين يتعبني الصراع
وحين يسحبني
إلى أسنانه ويظل يمضغني
نمت في جبهتي سكين
نمت من أضلعي سكين
وأورقت الجراح دماً
وأنبت كل شبرٍ من دمٍ يده وماتت عينه الشوهاء
تلعنني

سابعاً : عنونة بعض قصائده بتشبيهات

من ذلك قصيدته (وتعطين كالبحر) شبه فيها عطاء حبيبته كالبحر الذي لا ينفذ عطاؤه وقصيدة (كأني خلقت لمسح الدموع)

ثامناً : توظيف أنساق التشبيه المختلفة، على نحو ما ذكر في الأمثلة التشبيهية السابقة كلها.

المعاني الوظيفية للتشبيه في مجموعة القصيبي

التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر.[١١] جيء به ليؤدي رسالة ذات أثر وليحقق أغراضه النفسية المقصودة من علم البيان. [١٢]

١ – ما وظف للتعبير عن حبه :

موضوعة الحب والحبيبة أبرز الموضوعات التي طرحها القصيبي في مجموعته فلا يكاد يخلو ديوان من طرح لهذا الموضوع . ومن التشبيهات الموظفة للتعبير عنه قوله مشبهاً حبه بالنار، ومكنياً عنه بالضمأ على نسق التشبيه المرسل الكامل العناصر:

(ضمأ / ٤٩٧)

أظن هذا الضمأ أقوى من الماء

أقوى من الري في حلم الينابيع

أضنه صار جزءاً من شرابيني

كالنار يكويني

أظنه صار في تكوين تكويني

وقوله مشبهاً الحب الذي يجمع بينه وبين حبيبته بالقيد بتوظيف الأداة (مثل) على نسق التشبيه المجمل الذي يحذف فيه وجه الشبه :

(هناك / ٦٤١)

لا والذي جعل الحب يجمع ما بيننا

مثل قيدٍ عنيف

وقوله مشبهاً حاله بعد الحب بذلك الذي كان يعيش في الظلام وانتقل إلى النور بعد أن اشرقت عليه شمس الفجر . فهو في بداية حياة جديدة يبصر فيها دربه ويعي ما يدور حوله يتلذذ بمشاهدة محيطه وبكل ما يحويه ، موظفاً الأداة (كأن) لتأكيد التشبيه على نسق التشبيه المجمل .

(من قبل /٤١٦)

كأني في ظلام واليوم اشرق فجري
كأنه ضاع عمري
وعاد لي اليوم عمري
ومنه قوله مشبهاً حاله بالطفل ، على نسق التشبيه المجمل .
(أمرح في عينيك / ٤٧١)
أمرح في عينيك أمشي على
الرمال كالطفل ألم المحار
ومنه اقواله
(حبك/٥٥١– ٥٥٢) تشبيه تمثيل :
كالبحر حبك
في البحر دنيا نرى بعضها
وتغيب الجبال ... تغيب المروج
وفي البحر دفىء وبرد
وفيه صراع وريح
وكالليل حبك
ينزل فوق الطيور الصغيرة يدخل تحت الجفون
يمس الخلايا البعيدة في الروح
لاينتهي الليل ... يولد كل مساء
وفي الليل شوق إلى كل ما لا يكون
وفي حبك الليل ... ألعب بين النجوم
والقط بدراً ... وهلالاً هناك

وفي القصيدة ذاتها يشبه حبه (بقربة الماء ، والصدق) على نسق التشبيه البليغ بحذف الأداة ووجه الشبه .

وحبك قربة مائي
وقد أخذتني القفار إلى صدرها
المتفجر شوكاً ورملاً
وحبك صدقي
وقد ضاع في الكلمات الرخيصة
صوت الحقيقة

٢- ما وظف للتعبير عن سخط :

السخط : عدم الرضا . (١٣) ولم يكن القصيبي راضياً عن كل ما يدورحوله ، خاصة حالة تهاون الأمة وعدم اكتراث بعض دولها وحكامها أزاء قضاياها القومية العربية مشيراً إلى ضياع القدس . وصف نفسه بـ (الحصان) المثخن الذي هدّه السباق فكسرت ساقه ببناء الفعل للمجهول ، وواصفاً أمته بالشقية .

قال : (يا أعز النساء/ ٦٦٣ – ٦٦٩) على نسق التشبيه البليغ .

يا أعز النساء ! همي ثقيل
هل بعينيك مرتع ومقيل
.....
يا أعز النساء ! جئتك حصاناً
مثخناً هدّه السباق الطويل
كسرت ساقه فجن إباء
كيف يحبو هذا الجواد الأصيل ؟

ومن سخطه، عدم رضاه عن حبيبة التي استبدلته بمن لم يكن أهلاً لها ، قال مشبهاً حاله بالطير المهاجر بعد خيانة اليفه له: على نسق التشبيه المجمل .

(غدر / ٤٤٣)

رأيتك أمس وبين يديه

يداك ... ورأسك في صدره
غداً ستوارى خطاي الدروب
ويمضي الشريد إلى قفره
كطيرٍ نأى هاجراً وكره
وقد خانه الإلف في وكره

٣ – ما وظف للتعبير عن شوق :

أبدع القصيبي في التعبير عن شوقه وحنينه لحبيبته،وقد وظف لهذا الغرض تشبيهات لطيفة من ذلك تشبيهه لشوقه على نسق التشبيه البليغ لعنايته الفائقة بتصوير هذه الحالة بقوله:

(رباعيات عاشقة / ٢٩٥)
شوقي اليك كانه ...
شوق السؤال إلى الجواب
شوق الحقيقة أن تمزق
شمسها ليل السحاب
شوق الحنين إلى الحياة
وراء دهليز الضباب

ومنه قوله مشبهاً حالة حنينه بحنين الغريب إلى الأهل والوطن.

قال : (أحن إليك/ ٤٣٢) على نسق التشبيه البليغ .
أحن إليك حنين الغريب
إذا ذكر الأهل والأوطانا

ومنه قوله : (عذراً / ٤٣٣) على نسق التشبيه المجمل .
لمحتك فأندفعت إليك شوقاً
كما اندفع الظماء لنبع الماء

ويشبه عمره بالأمنية الظمآنة قال : (منظارك الاسود / ٤٤١)

عمري إذا أقبلت أمنية
ظمآنة تسأل عن موعد
وأضلع يصهرها شوقها
ورغبة حائرة المقصد
وأنت في الغرب خيال دنا
لكنه أنأى من الفرقد

٤ – ما وظف للتعبير عن قضايا قومية :

الحس القومي كان واضحاً وجلي في مجموعة القصيبي . فكثيرة هي القصائد التي أشارت لهذه القضية ، فقد وظف كل أدواته اللغوية لرسم الصور المعبرة المثيرة للهمم والعزيمة . ومما وظف من تشبيهات للتعبير عن هذه القضية . قوله متحدثاً عن مجد العرب ومشيراً إلى ان أمجاد العرب تجاه قضاياهم القومية قليلة لا بل معدومة فهي كالبياض في ريش الغراب . وأي بياض في سواد ريش الغراب !! على نسق التشبيه المجمل . في قصيدة ارسلها إلى الشاعر (احمد محمد آل خليفة) قال : (اسطورتان / ٢٧٤)

اننشد للمجد ؟ ياللغباء
وامجادنا كبياض الغراب

ومنه (السكوت / ٥٢٠)

ميتة حروفنا مثل ضمائر الطغاة
ما اغتسلت في بركة الحياة
ولا درت ما رعشة المخاض
ما ألم الجراح

ويشبه نفسه بالفأر خدمة لهذا الغرض قال في نهاية القصيدة ذاتها :

تعبث اسرائيل في مساجدي

تنتف ذقن والدي
واختفي
كالفأر في قصائدي

وقال مشبهاً شعب فلسطين بالشعب اليتيم، على نسق التشبيه المرسل لعنايته بضرورة اكتمال عناصر الصورة التشبيهيه لتبدو واضحة لأكبر قدر ممكن من المتلقين.

(حزيران الأثيم / ٥٤١)

ونغني يا حزيران الأثيم
.....
للشعارات التي تنبح بالمجد العظيم
للأكاذيب الصغيرة
والزعامات الكبيرة
ولشعب فلسطين يجوب التيه
كالطفل اليتيم

٥ – ما وظف للتعبير عن قضايا تاريخية وحروب :

كتب القصيبي قصيدة مهداة إلى الطفلة (ريم تركي العصيمي) التي استشهد والدها أثناء تطهير الحرم المكي (١٤٠٠ هـ – ١٩٧٩) . أشار بقصيدته هذه إلى ما تعرض له الحرم المكي من اعتداء راسماً صورة تقرب الحدث ذلك بتشبيهه المهاجمين بالوباء . دلالة على انتشارهم بسرعة فائقة . قال : (يا ريم /٦٣٦) على نسق التشبيه المجمل .

يا ريم السمراء الحسناء الصامتة الشفتين
.....
دخلو في جنح الليل كغربان الموت
أحاطو بالكعبة مثل وباء
قتل الغيلان

بابا ..... والماء النابع من زمزم ..... والحجاج

٦ – ما وظف للتعبير عن حب الوطن :

قال متغنياً بحبه لوطنه وإعجابه بطبيعته . مشبهاً ليله بلوحة مزخرفة قال على نسق التشبيه البليغ . (الليل في بلدتنا / ٤٣٤)

في كل شيء فتنة أومضت
فهامت الروح وهام البصر
.....
الليل في بلدتنا لوحة
زخرفها الله بأحلى الصور

٧ – ما وظف للتعبير عن يأس وسأم :

تمر على القصيبي لحظات يأس يجسدها بصور مرسومة ، بتشبيه يأسه بتشبيهات عديدة، ملؤها الحزن والأسى فهو يشبه أغنية يروم غناءها بمشية الغروب وبالنظرة الحزينة، ثم يختم الصورة التشبيهية الحزينة بذكر أحلامه اليائسة التي ستنتهي كخطوة على الرمال ، حيث لا أثر لها وكأنها لم تكن . يقول: (أغنية / ٣٤٨)

أريد أن أغني أغنية حزينة كمشية الغروب في
شوارع المدينة
كنظرة
في مقلة الحب الذي
تهزمه الضغينة
أحس حزناً في دمي
ينبع من نافورة دفينة
نموت نحن يا رفاق
نموت دون لحظتين

للوداع والعناق
نضرب في ليل الفراق
وتنتهي أحلامنا
أشواقنا
أسرارنا الثمينة
كخطوة على الرمال

ومن ذلك قوله مصوراً ليله بلا حبيبة وحبه الوهمي بجهنم ، على نسق التشبيه المجمل. (وهم / ٥٦)

يا إبنة الوهم إنما أنت في
دنياي حلم على جفوني محرم
.....
وفراغ يعربد اليأس فيه
وليالٍ رهيبة كجهنم

ويعمد في بعض قصائده اليائسة إلى المزاوجة بين الأمل واليأس . يبدو ذلك في قصيدة له عبر فيها عن حيرته بانشغاله بفتاة ألتقاها . قال : (حيرة / ١٢٤)

مالي إذا فكرت فيك ...
سبحت في أفق بعيد
وتلفتت عيناي تبحث عن
وجودك في وجودي
هي رحلة عبر الخيال ... أعود
منها بالشرود
.....
ويلوح طيفك واحة

خضراء باسمة الورود فيضمني أمل ... أحس
صداه يرقص في وريدي
وأكاد أعدو ماضياً
شوقي فتثقلني قيودي
ثم يعاود إحساسه باليأس قائلاً :
ويهدني المي ... ويحبو
اليأس في خطوي الوئيد
وتعود أحلامي مبعثرة
كأوهام الوليد

٨ – ما وظف للتعبير عن ألم الفراق :

يذكر القصيبي الدنيا بعد فراق الأحباب ظلام مشبهاً هذا الظلام (بالوحش الرهيب) راسماً بذلك صورة موظفة للتعبير عن ألم الفراق وقسوته وجبروته . قال على نسق التشبيه المجمل : (السفر / ٢٥٥)

غداً الرحيل
وأقلب الطرف الكئيب
فلا أرى غير الظلام
يمتد كالوحش الرهيب على الضفاف

ومما وظف للتعبير عن ألم الفراق قوله : (حين تغيبين / ٥٧٥)

يبعثرني الشوق حين تغيبين
.....
إذا غبت لا شيء .. لاشيء .. لاشيء
.....
كأن، الحياة إذا غبت عكس الحياة

٩ – ما وظف للتعبير عن وحشة الوحدة :

يقاوم القصيبي مرارة واقعه ، بتأكيده وإصراره بالانتقال إلى عالم الخيال وبأنه سيهرب من هذا الواقع إلى واقع أجمل يتمناه عن طريق الحلم بهذا الواقع الخيالي ، ذاكراً بأنه بهذا الحلم سيستبدل أموراً كثيرة في واقعه، منها الوحدة ووحشتها القاتلة الذي يشبهها بظلام القبر وبأن ليل الوحدة دقائقه بالأزل ، سرمدية لا تنتهي لطولها وثقلها ، قال : (سأحلم / ١٩٠)

سأحلم يوماً إلى أن أحس
بأني تجاوزت دنيا البشر
.....
سأحلم حتى أرى عالمي
المشوه ... حيث الخطا ... وارتحل
فلا همسة تترجى الزمان
ولا إنة تتشكى الملل
ولا أمسيات تمر علي
خريفية الوطء لا تحتمل
ولا وحدة كظلام القبور
بليل دقائقه كلأزل

١٠ – ما وظف لوصف الحبيبة :

ذكرت في موضع سابق من هذا البحث بأن الحب والحبيبة لهما المجال الأوسع في مجموعة القصيبي. كما وذكر بأن عطاء حبيبته (كالبحر) (البحث: ص: ١١)

وصف القصيبي حبيبته بأوصاف مختلفة تتدرج في أقواله الآتية :

(بين الصديق والعشيق / ٣٧٢)

وتسألين أين أنت
أين غبت وأين اختفيت

.....

وأنت يا صديقتي المسكينة
كريشة عذراء في دوامة
يلهو بها الشوق إلى السلامة
يلهو بها الخوف إلى الندامة

(شَعر شاحب / ١٢٨)

إنما أنت دمية
نحتوها من الحجر

(فتاة الخيال / ٤٠)

أشقراء ضحكتها كالصداح
وبسمتها كأرتجاف الزهر ؟

وفي وصف بسمة حبيبته قال : (بسمة من سهيل / ٥٧٩)

هتفت بي ((اهلاً))
وضوأت لي بسمة كالقمر
وقالت لي ((كلا))

(حواء العظيمة / ٦١١)

أنت السعادة والكآبة
والوجد حبك والصبابة
أنت الحياة تفيض
بالخصب المعطر كالسحابة

(أنت الرياض / ٤٧٥)

كأنك أنت الرياض

بابعادها ... بأنسكاب الصحاري
على قدميها
وما تنقش الريح في وجنتيها
وترميها بالغريب الجريح

(وحين أكون لديك / ٤٨٣)
وجهك أنت بسيط كأفكار طفل

(الزلزال / ٥٤٣)
من أين أقبلت ؟ أيا من حركت قلقي
فثار ... يا من تمشت بيَّ كتيار

١١ – ما وظف لوصف لقاء الحبيبة :

من شدة فرحته بلقاء حبيبته وجمالها ، يشبه نفسه بالأعمى الذي أبصر النور وأشرقت روحه بأنوار الرجاء على نسق التشبيه المجمل ، قال : (طريد/ ٧٩)

والتقينا أمس في الجمع الكبير
واستقرت عيني الولهى على الصبح الجميل
تستقي في فجر عينيك الظلال
وكاعمى فتح النور جفونه
أشرقت روحي بأنوار الرجاء
لمحة أحلى من العمر ... وحلو الذكريات

كما وظف التشبيه للتعبير عن قصر اللحظات السعيدة ومرور الليالي الجميلة مع حبيبته ، قال : (جارتي / ١٣٥)

يا جارتي ! هل تذكرين ليالياً
عبرت ... كما خطر الخيال المسرع

١٢ – ما وظف للتعبير عن رثاء الاصدقاء :

لإصدقاء القصيبي نصيب من تشبيهات قصائد مجموعته الشعرية ، فهو يذكر صفاتهم واللحظات السعيدة معهم ، ومروءتهم ، ومواقفهم المشرفة معه ، كما يرثي من يفقد منهم . من ذلك قوله راثياً صديقه (محمود نصيف) مشبهاً مروره بالدنيا كمرور الشهاب الذي يجوب السماء وضّاءً وما يلبث أن يغيب بضيائه . قال : (كيف أ أبكيك / ٥٣٤) على نسق التشبيه المجمل .

مرَّ لمحاً ... كما يمر الشباب
وتوارى ... كما يغيب الشهاب

كما يرثي صديقاً يدعى (أبا بندر) . مهديه سلاماً بمناسبة ذكرى يوم رحيله . قال : (سلاماً يا أبا بندر/ ٧٩٣)

سلاما يا أبا بندر
كعرف الشيح ... والقيصوم ... والعرعر
كعطر الليل في نجدٍ
كما يتنفس العنبر

النتائج :

- عمل القصيبي على توظيف أساليب البيان كافة ، ليرسم بتوظيفها صوراً توصل المعنى الراسخ في ذهنه وتمكنه من إقناع متلقي قصائده بأفكاره ؛ ليشاركه همومه وأفراحه وأحزانه .
- كان توظيف الأساليب توظيفاً نسبياً ، إذ كان لأسلوب التشبيه النصيب الأكبر والأوضح في قصائده .
- المزاوجة بين الأساليب في القصيدة الواحدة لتتضافر في رسم الصورة ولتتعاون على توضيح المعنى .

- لتشبيهات القصيبي مزايا متعددة ، منها استعمال التشبيه المنفي ، وكثرة التشبيه بالطفل، ذكر تشبيهات عديدة للتعبير عن حالة واحدة ، تشعب وجه الشبه ، استعمال تشبيهات غامضة ، عنونة بعض قصائده بتشبيهات .
- توظيف التشبيه للتعبير عن قضايا مختلفة، إنسانية، وعاطفية،وتاريخية ، وقومية عربية .
- توظيف أنساق التشبيه المختلفة مع غلبة ورود نسق التشبيه المجمل (محذوف وجه الشبه) لترك مجال التأمل مفتوحاً أمام المتلقي بتخيل أوجه الشبه المحتملة .

الهوامش :

١ – البلاغة فنونها وأفنانها / ١٤ .
٢ – التصوير البياني / ١٦ .
٣ – ينظر : لغة القرآن / ٣٥٥ .
٤ – دلائل الإعجاز / ١٠٨ .
٥ – معجم البابطين للشعراء الخليجيين .
٦ – ينظر : البرهان في علوم القرآن / ٣ / ٤٣٣ .
٧ – ينظر : دلائل الاعجاز / ١١٠ ، البلاغة العربية / ٢٢٣ .
٨ – البيان في ضوء أساليب القرآن / ١٧٩ .
٩ – التصوير البياني/ ٢٣٨ .
١٠ – خصائص الأسلوب في الشوقيات / ١٤٢ .
١١ – البلاغة فنونها وأفنانها / ١٨ .
١٢ – السابق / المكان نفسه .
١٣ – ينظر : خصائص الاسلوب في الشوقيات / ١٥٨ .
١٤ – ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها / ٢/ ١٧ .
١٥ – السابق / ١٧ – ١٨ .
١٦ – السابق / المكان نفسه .
١٧ – أساس البلاغة / ٣٤٣ .

المصادر :

١ – التصوير البياني / حفني محمد شرف / ط٢ / مكتبة الشباب / القاهرة / ١٩٧٣
٢ – البلاغة فنونها وافنانها – علم البيان والبديع / فضل حسن عباس / ط٣ / عمان – الاردن / دار الفرقان / ١٤١٩ – ١٩٩٨ .
٣ – لغة القرآن الكريم / عبد الرحيم عبد الجليل / مكتبة الرسالة الحديثة / عمان – الاردن / د.ت .
٤ – دلائل الاعجاز / عبد القاهر الجرجاني / تح : فايز الداية – محمد رضوان الداية / ط٢ / مكتبة سعد الدين / دمشق / ١٤٠٧ – ١٩٨٧ .
٥ – معجم البابطين للشعراء الخليجيين .
٦ – البرهان في علوم القرآن / بدر الدين الزركشي / تح : محمد ابو الفضل ابراهيم / ط٢ / المكتبة العصرية / صيدا – بيروت / ١٣٩١ – ١٩٧٣ .
٧ – البلاغة العربية / احمد مطلوب / ط١ / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / مؤسسة دار الكتب / ١٤٠٠ – ١٩٨٠ .
٨ – البيان في ضوء أساليب القرآن/عبد الفتاح لاشبن/ دار المعارف/القاهرة/١٣٩٧ – ١٩٧٧ .
٩ – خصائص الاسلوب في الشوقيات / محمد الهادي الطرابلسي .
١٠ – اساس البلاغة/ المخشري/دار احياء التراث /ط١/ بيروت– لبنان /١٤٢٢ – ٢٠٠١ .
١١ – المجموعة الشعرية الكاملة / غازي عبدالرحمن القصيبي / مطبوعات تهامة للنشر / ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م / وتظم :
– اشعار من جزيرة اللؤلؤ .
– قطرات من ظمأ.
– معركة بلا راية .
– أبيات غزل
– الحمّى
– العودة إلى الاماكن القديمة .
– أنت الرياض .